القهار

قبل أن أبدأ باسم جديد من أسماء الله الحسنى وهو اسم « القهار » ، لابد من وقفة عند حقيقة ثابتةٍ في الإنسان ، وهي أن الإنسان آتاه الله قوةً إدراكية تتمثل بحواسه ، وتتمثل بفكره ، وتتمثل بقلبه ، فالحواس تشعر ، والفكر يدرك ، والقلب يعقل ، الحواس الخمس مشتركة بين الإنسان وغيره من المخلوقات ، هناك حيوانات ترى وتسمع وتدزك المحيط الخارجي ببعض الحواس التي وهبها الله إياها ، ولكن الإنسان وحده ميزه الله بالفكر ، ويسميه بعضهم العقل ، ولا خلاف في ذلك ، هذا خلاف لفظي ، هذا الذي في الجمجمة هو الفكر ، ربنا عز وجل أشار إليه في آيات كثيرة ، قال :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

إذا جاء الفؤاد مع السمع والبصر فهو الفكر ، كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، وأعطى الله الإنسان قلباً يعقل به ، والدليل قوله الله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

الآن ما الفرق بين الإحساس والإدراك والعقل ؟

الإحساس : أن ترى الضوء بعينك أو أن تسمع الصوت بأذنك أو أن تشم الرائحة بأنفك أو أن تشعر بالحرارة بجلدك ، هذا هو الإحساس .

ولكن قد يضع طفل يده على أفعى يرى لها ملمساً ناعماً ، يروق له منظرها كما يروق له ملمسها الناعم وهي أفعى ، لو كانت سنه أكبر وعرف ما الأفعى لكان له موقف آخر ، إذاً هو رآها بعينه ولمسها بيده وما أدرك حقيقتها .

هناك إذاً فرق بين الإحساس والإدراك ، فالإدراك عن طريق الفكر . . . يمكنك أن تقرأ مقالة عن مضار التدخين وتدخن ، الإدراك أحياناً لا يكفي للابتعاد عن الشيء ، لكن في بعض الحالات إذا وصل الإدراك إلى درجةٍ محددة عَقَلَ القلب أبعاده عندئذ تكف عن هذا العمل .

الفرق الدقيق بين العقل وبين الإدراك ، هو أن الشيء إذا كان ضاراً وابتعدت عنه معنى ذلك أنك عقلته ، قد تدرك ولا تتخذ موقفاً ، أما إذا عقلته فلابد من أن تتخذ موقفاً من هذا الشيء ، دائماً هناك مع العقل موقف عملي ، ومع الفكر إدراك ، والإدراك قناعة .

تحرِّك الإنسان أحياناً شهواته لا قناعاته ، فمعظم الناس يعرفون الحلال والحرام لأن الحلال والحرام ، كما قال عليه الصلاة والسلام بيّن ، « الحلال بيّن والحرام بيّن » [متفق عليه من حديث النعمان بن بشير] ، يعرفونه بعقولهم يعرفونه بفطرتهم ، ويعرفونه بما يلقى عليهم من مواعظ وخطب ودروس دينية ، فلماذا يفعل الناس الحرام ؟ لأنهم ما عقلوا خطورته .

الحواس : تشعر وتحس ، والفكر يدرك والقلب يعقل ، المعول عليه هو القلب ، حينما تأخذ موقفاً عملياً ، معنى ذلك أنك عقلت الحقيقة ، والدليل قال الله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

دليل آخر ، قال الله تعالى :

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٠] .

ففي هاتين الآيتين مواقف عقلها المؤمنون ووقفوا عندها ملتزمين بمضمونها .

فالإنسان لا يمكن أن يسمى عاقلاً إلا إذا تُرجمت أفكاره إلى ممارسات ، إلا إذا تُرجمت أفكاره إلى سلوك ، وإلى مواقف ، فالذي ينجي الإنسان يوم القيامة لا قناعاته ، ولكن تصرفاته وانضباطه والتزامه واستقامته وفعله وتركه .

إذاً بالحواس نحس ، بالفكر ندرك ، بالقلب نعقل ، هذه الحواس وذاك الفكر وذاك القلب هي القوة الإدراكية في الإنسان ، ولو أغفلنا في الإنسان الجانب الإدراكي لصار بهيمة من البهائم ، ولولا العلم لكان كالبهيمة تماماً ، لأن العلم ينمي هذه القوة الإدراكية ويرقى بها . كما أن العلم وسيلة لبلوغ هدف سامٍ نبيل .

الحقيقة الثانية أن العلم في الإسلام ليس هدفاً بذاته روي عنه عليه الصلاة والسلام :

« تعلموا من العلم ما شئتم فوالله! لا تؤجروا بجمع العلم حتى تعملوا » .

وقال الشاطبي في الموافقات ، « العلم الذي هو العلم المعتبر شرعاً ـ أعني الذي مدح الله ورسوله أصله على الإطلاق ـ هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلي صاحبه جارياً على هواه كيفما كان بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحاملُ له على قوانينه طوعاً أو كرهاً » .

قد يحصل انحراف في طلب العلم فيصبح العلم هدفاً بذاته ، أما المؤمن فهو يرى دائماً أن العلم غير مطلوب لذاته ، ولكن العلم مطلوب دائماً لغيره ، تتعلم من أجل أن تعمل ، من أجل أن تطبق ، وهكذا روي عنه عليه الصلاة والسلام :

« تعلموا من العلم ما شئتم فوالله! لا تؤجروا بجمع العلم حتى تعملوا » .

وقيل : **كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به** .

معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : **اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا** ، وقال الحسن رضي الله عنه : **اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه فإذا سمعت قولاً حسناً فرويداً بصاحبه فإن وافق قوله عمله فنعم عين ومن خالف فعله قوله فإنما يوبخ نفسه** .

في ضوء هاتين المقدمتين.. الإنسان فيه قوة إدراكية تتمثل بالحواس وبالفكر وبالقلب ، والعلم في الإسلام ليس هدفاً لذاته بل هو وسيلة لتطبيق منهج الله عز وجل .

والحقيقة الثالثة هي أن في الإنسان جانباً انفعالياً ، وجانباً إدراكياً ، وجانباً مادياً ، الجانب المادي : مشترك بين الحيوان والإنسان ، الإنسان يأكل والحيوان يأكل ، والإنسان يتعب وينام والحيوان يتعب وينام ، بل إن أكثر الحيوانات تتفوق على الإنسان في بعض الخصائص .

اسم القهار : مرَّ معنا سابقاً أن أسماء الله الحسنى لا تتغير في مستوياتها ، الطبيب أحياناً يكون لديه معلومات محددة فيعالج مريضاً في ضوء معلوماته ، وبعد حين ينال شهادة أعلى فتصبح معالجته أدق في ضوء ما كسبه من علم جديد ، فكلما ارتقى علمه ارتقى مستوى معالجته ، إذا انطبق هذا على الإنسان ، فإن هذا لا يجوز أن ينطبق على الذات الإلهيه ، فأسماء الله الحسنى لا تفاوت فيها ، فكيف يأتي اسم غير مبالغ به كالقاهر ، لقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام : ٦١] .

﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾غافر : ١٦] .

وردت « قاهر » ووردت « قهار » ، فكيف نوفق بين اسم قاهر « اسم فاعل دون مبالغة » وقهار (مبالغة اسم فاعل) علماً بأن أسماء الله تعالى من حيث دلالتها لا تتفاوت ، فنحن في الظاهر أمام مشكلة .

قلت من قبل في بحث اسم الغفار : إن الإنسان إذا أكل طعاماً يسمى آكلاً ، ولا يُسمى أكولاً إلا إذا أكل وجبة كبيرةً جداً أو إذا أكل

مجموعةً من الوجبات ، فالمبالغة عندئذٍ تكون تارةً بالنوع وتارةً بالعدد .

فأسماء الله الحسنى إذا وردت بصيغة المبالغة فالمقصود منها التكرار وليس النوع لأن مستوى أسماء الله الحسنى لا تتبدل ، الإمام أبو حامد الغزالي قال : ليس في الإمكان أبدع مما كان ، هو يقصد أنه ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني .

فالله عز وجل حكيم في خلق النملة وفي خلق المجرة ، حكيم ، بالنسبة نفسها ، في خلق أصغر المخلوقات وفي خلق أكبرها ، عليم بكل شيء ، أسماؤه من حيث المستوى ثابتة لا تتبدل ، فإذا تبدلت فبحسب المخلوقات لا بحسب الخالق ، ولكن إذا ورد اسم مبالغ به فهو لمبالغة التكرار .

الإنسان أحياناً يحارب عدواً ويقهره ، وقد لا يتمكن أن يقهر عدواً ثانياً أو ثالثاً ، أما إذا قال : ربنا الواحد القهار فيعني أن كل المخلوقات مقهورة بالنسبة إليه ، وبشكل دائم ومستمر .

﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ . . على وزن فعَّال . . وهو القاهر فوق عباده .

وقال تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

والله غالب على أمره ، هذا مغزى قصة سيدنا يوسف ، هذا المغزى موجز ، والقصة بأكملها في تفصيل هذا المغزى .

قصة أخرى يتجلى فيها اسم القهار ، سيدنا موسى مع فرعون ، فرعون الذي أراد أن يذبح أبناء بني إسرائيل جميعاً ليمنع حدوث رؤيا

قد رآها ، وهي أن طفلاً من بني إسرائيل سوف يقضي على ملكه ، فالله عز وجل قهره بأن الطفل الذي سيقضي على ملكه رباه في قصره ، والحقيقة كل أفعال الله عز وجل تصدر عن أسمائه ، أو أن أفعاله كلها فيها أسماؤه كلها ، وهذا ما يدعو إلى تفسير بعض الآيات التي ورد الحديث فيها عن ذات الله بضمير المفرد وبعض الآيات التي ورد الحديث فيها عن الله بضمير الجمع .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ق : ٤٣] .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٣] .

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه : ١٤] .

إذا جاء الضمير مفرداً فللتعبير عن ذات الله ، وإذا جاء جمعاً فللتعبير عن أن أسماء الله الحسنى جميعها واردةٌ في أفعاله ، ونحن عندما نذكر أنه سميع ، لطيف ، بصير ، قدير ، قوي ، حكيم ، هذا تفصيل دراسي مدرسي أما الأسماء فهي متداخلة بعضها في بعضٍ ، أحياناً ربنا عز وجل يجمع أسماءه في أسماء موجزة ، فمثلاً :

﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

فالجلال صفة تشعر بالعظمة ، والإكرام صفة تشعر بالعطاء ، فأنت في حياتك اليومية قد تتعامل مع إنسان تعظمه ولا تحبه ، وقد تتعامل مع إنسان تحبه ولا تعظمه ، والبطولة أن تجمع بين التعظيم والمحبة ، فربنا ـ عز وجل ـ هو في جلال ورفعة وعظمة وعلو شأن وكبرياء وجبروت وقهر وقدرة وغنىً وهو كذلك رحيم لطيف ودود كريم عفو غفورٌ ، هناك أسماء متعلقة بالجلال ، وهناك أسماء متعلقة بالإكرام ، وقد وردت هذه الأسماء في آيتين ، قال الله تعالى :

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن :٢٧] .

﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

والله بهذين الاسمين : « **ذي الجلال ، وذي الإكرام** » تمثلت أسماؤه الحسنى كلها فيهما .

روى الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه قال : كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ورجل يصلي فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم! أسألك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » .

أحياناً في موضوع الاستقامة ربنا عز وجل يذكر اسمين فقط ، مثلاً قال الله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

اختار من كل أسمائه القدرة والعلم ، لأنك لن تستقيم على أمره إلا إذا أيقنت أن علمه يطولك ، وأن قدرته تطولك ، ففي موضوع الاستقامة أنت بحاجة إلى أن تؤمن باسمي العلم والقدرة ، من أجل أن تستقيم ، وأن تعظم لا بد من أن تؤمن باسمه ذي الجلال والإكرام .

فاسم القهار إما أن يرد بصيغة اسم الفاعل مباشرة ، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٨] . وإما أن يرد بصيغة المبالغة كما في الآية :

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ، فيقول الله نيابة عن خلقه : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر : ١٦].

هناك آية دقيقة جداً ، يقول الله عز وجل :

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[الشورى : ٥٣] .

الإنسان يعجب !! هذا كلام الله ، فَلِمَ يقول الله : ألا إلى الله تصير الأمور ، فهي أين كانت ؟ بيد من كانت ؟ المعنى المستنبط من هذه الآية أنها لم تكن بيده من قبل والآن أصبحت بيده ، إذا قلنا : صار الأمر في هذا الموضوع إلى زيد يعني أن زيداً لم يكن الأمر بيده من قبل ؛ فالواقع أن معظم الناس في غفلة عن الحقيقية ، فعامة الناس يرون أن الأمر بيد الأشخاص ، وأن القرار بيد فلان ، أو صانع القرار فلان ، وفلان هذا يفعل ، يقولون مثلاً : « **إذا رفعك فلان يرفعك إلى السماء ، وفلان إذا غضب جعلك في أسفل سافلين** » ، هذا كله شرك ، هذا الوهم الأعمى ، ففي يوم القيامة جميع المخلوقات ترى أن الملك لله الواحد القهار ، لكن في الدنيا لا يرى هذه الرؤيا إلا المؤمن أما في الآخرة فهذه الرؤية عامة شاملة .

قال الله تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٨] .

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر : ١٦] .

وهذا الاسم ورد بشكل غير مباشر ، فقال :

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف : ٢١] .

يعني أمره هو النافذ. . . ورد في الأثر القدسي :

« عبدي خلقت لك السموات والأرض ولم أعي بخلقهن أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ، لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي ، وكنت عندي مذموماً. . . » .

« أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتك ما تريد ، وإذا لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد » .

هذا الأثر يعطي معنى القهار ، أمر الله هو النافذ ، الأمور كلها تدور وتدور ، ولكن أمر الله هو النافذ كيفما دارت الأمور ومهما تقلَّبت .

هناك أشخاص يقرؤون بعض الكتب ، التي تتحدث عن مكر اليهود في العالم ، يقولون لك : هذا المخطط يهودي .

اليهود بشر يخططون ويمكرون ، وهم من أخبث خلق الله مكراً وخداعاً ، ولكن الفعل ليس إليهم ، الفعل فعل الله ، فإذا آمنت بأنهم فعالون ، وأن كل ما يجري في العالم من تخطيطهم فقد ألَّهتهم وأنت لا تدري ، لكن أحياناً يقع في الأرض شيء مما خططوه فهم خططوه وقل : إن خطة الله استوعبت خطتهم ، فالله عز وجل قد يوظف مكرهم في تأديب بعض العباد بدليل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

حينما تقول : فلان يفعل ، فقد وقعت في الشرك وأنت لا تدري ، والصواب أن تقول : والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

« أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد » .

القهر في اللغة يعني الغلبة ، قهره أي : غلبه ، أو صرف الشيء عن طبيعته ، وهي طبيعةٌ قوية قهرية ، وجعلته ضعيفاً على سبيل الإلجاء ، قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى : ٩] .

ودائماً وأبداً هناك أسماء إذا سمي الإنسان بها فهي صفة ذم ، وإذا كانت من أسماء الله فهي اسم من أسماء الله الحسنى .

إنسان بحاجة إلى مساعدة ، وتوجه إلى إنسانين : الأول غني ممتلئ ، والثاني فقير ، فقال له الفقير : أنا أعطيك ، أنا أمنحك ، هو لا يملك شيئاً فكذب عليه ، فهذا نقص بحقه ، فلو قال له : أنا لا أملك شيئاً أنا فقير ، فالكمال بحقه أن يكون صادقاً ، أما الغني لو قال له أنا لا أملك شيئاً أنا فقير ، وهو يملك وبإمكانه أن يعينه فقد كذب ، وهذا نقص في حقه ، فالمتكبر من أسماء الله الحسنى وهي صيغة مدح ، وإذا لجأ إليه العباد يعطيهم كل حاجاتهم ، بينما الإنسان الذي لم يعط لفقره وكذب ، والآخر الذي لم يعط لبخله وكذب ، فهذه صفات نقص فيهما ، قال الله تعالى :

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ٨ـ١١] .

والقهار على وزن فعَّال مبالغة من القاهر ، فيقتضي تكثير القهر التكثير العددي ، لأن التكثير النوعي لا يليق بحضرة الله تعالى .

لعلك تعلم أيها القارئ العزيز أن لله عز وجل أسماء ذات وأسماء صفات وأسماء أفعال ، وقد قال العلماء : القهر قدرة على وصف مخصوص ، كما أن الرحمة إرادة على صفة مخصوصة ، والقاهر هو القادر على منع غيره أن يفعل بخلاف ما يريد ، فالقدرة صفة لله عز وجل في ذاته ، قدرة على نحو مخصوص يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون ، مشيئته هي النافذة ، أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والاسم القهار له علاقة وشيجة بالتوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

فإذا قلنا : إن اسم القهار هو قدرةٌ على نحو مخصوص من أسماء الذات ، وإذا قلنا : هو فعلٌ يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون فهو من أسماء الأفعال .

القهار ، قال بعض المحققين إنه قهار للعدم ، فالعدم ما سوى الله عز وجل ، ما سوى الله كان عدماً فأوجده الله فهو ممكن ، وهذا الشيء الموجود بقدرة الله عز وجل لا يستمر وجوده إلا بقدرة الله ، قال الله تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

السموات والأرض هذا تعبير قرآني عن الكون ، الكون كله كواكب ونجوم ومجرات ، الكون كله يتحرك ، ولو لم يكن متحركاً لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، والدليل أن هناك قوى التجاذب بين الكواكب

والنجوم والمجرات والمذنبات ، قوى التجاذب ، تقول : إن النجم الأكبر يجذب الأصغر ، وهذا الجذب يتناسبْ مع الكتلة ومع مربع المسافة ، والقانون معروف « جداء الكتلتين مضروب بمربع المسافة » هذه قوة الجذب ، قوة الجذب لا ترى بالعين كما لو جِئت بمغناطيس ، ووضعت مسماراً ، وحركت المغناطيس يتحرك المسمار ، فهناك قوة جذب ، وقوى التجاذب هذه أودعها الله في الكون لحكمة بالغة فلو لم يتحرك الكون لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، فالكوكب الأكبر يجذب الأصغر ، فما الذي يمنع ؟ فمثلاً أمسك وعاء ماء وحركه حركة دائرية سريعة فإنك تستغرب !! فحينما كان في الأعلى وفيه ماء فلماذا لا يندلق الماء ؟ فقوة النبذ تمنعه من الاندلاق ، وكثير من الآلات أساسها القوة النابذة كتجفيف الثياب في الغسالات ، وآلات عصر الفواكه . . إذاً مع الدوران تنشأ قوة نابذة ، هذه القوى النابذة تكافىء القوى الجاذبة ، فلولا أن الكون يتحرك لأصبح كله كتلة واحدة .

الأرض تدور حول الشمس منذ ملايين السنين فلم تنجذب إلى الشمس قال الله تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

معنى : ﴿ أَن تَزُولَا ۚ ﴾ [فاطر : ٤١] ، يعني : أن تنحرف كل منهما عن مسارها ، والذي قهر هذه النجوم وجعلها تبقى على مسارها الله عز وجل ، فالله عز وجل قهار للعدم ، فهذا الشيء الذي خلقه أصله لا شيء ، إذاً هو أصله العدم سبقه العدم وينتهي إلى فناء ، كل شيء

يسبقه العدم وينتهي إلى فناء فهو ممكن ، أما الله سبحانه وتعالى فهو واجب الوجود ، لا أول له ولا آخر له ، هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية .

ربنا سبحانه وتعالى قهار للعدم ، بمعنى أن هذا الممكن ممكن بقدرة الله ، وممكن بإمداد الله ، وممكن بتسيير الله ، وفي أي لحظة يوقف الله عز وجل عن هذا الممكن تجليه وإمداده ينعدم الممكن ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

يعني قيام كل شيء في الكون بالله عز وجل .

أول معنى يستفاد من معاني القهر أن الله عز وجل قهر الممكن ، وجعله قائماً ، جعله مستمراً ، جعله موجوداً ، قال الله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

[طه : ٤٩ـ٥٠]

لو ترك وحده لكان معدوماً ، فكأن جوهر الممكن هو العدم ولولا قدرة الله القاهرة في الممكن لما كان هذا الممكن موجوداً ، إذاً فالكلمة الدقيقة « **كن فيكون ، زلْ فيزول** » .

فأنت وجودك بالله عز وجل ، والدليل أجهزة الإنسان ، دماغه مثلاً مئة وأربعون مليار خلية ، الإدراك ، الإحساس ، الذاكرة ، المحاكمة ، التصور ، التخيل ، الغدد الصماء ، كل هذه الأجهزة أساسها أن الله عز وجل يتجلى عليك ، وينقطع التجلي عن الإنسان عند الموت .

وازن بين إنسان في أوج نشاطه يتحرك ، يفكر ، يحاكم ، يتصرف ، يرى ، يسمع ، يشم ، يلمس ، يأخذ مواقف ، ينشىء مشاريع ، يترك بصمات في المجتمع وبين جثة هامدة ، الفرق بين الجثة الهامدة وبين هذا الإنسان الممتلىء نشاطاً وحيويةً هو التجلي الإلهي ، هو القهار ، الله عز وجل قهر المادة فجعلها تفكر ، وتسمع وتعقل وترى وتشم وتبصر وتمشي وتتحرك وتغضب وتفرح وتحزن ، لو أن إنساناً وضع على ميزان قبل أن يموت بدقائق ومات فلا يخسر عند الموت شيئاً من وزنه ، هي قوة الله عز وجل ، هذه الروح هي سر حياته ، ولما سلبت منه عاد إلى ماديته فقط .

قال بعض المحققين : القهار للعدم والوجود ، لأن الممكن لو ترك وحده لكان معدوماً ، فكأن ماهية الممكن تقتضي العدم إلا أنه سبحانه وتعالى منزه يقهر هذه الحالة ويبدل العدم للوجود .

مثلاً الشمس عمرها خمسة آلاف مليون سنة ، هذا عمر مديد ، وللشمس طاقة لا تخبو ، هل عندنا على الأرض مصدر طاقة لا يخبو ؟ شخص ملأ خزان الوقود في سيارته بعد مئتي كيلو متر ينفد ، ملأ مستودع الوقود بمنزله بعد حين ينفد ، كل شيء ينفد ، أما هذه الشمس فهي من خمسة آلاف مليون عام لا تنفد ولا تنتهي ، هذا المعنى الأول ، يعني بدّل العدم وجوداً واستمراراً إلى حين .

المعنى الثاني : إن أصغر كوكب في الفلك أضعاف جرم الأرض ، ثم إن هذه الأفلاك مع ما فيها من كواكب يمسكها الله تعالى بقدرته معلقةً في الهواء كما قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : ٤١] .

بعض العلماء يقولون : بالحياة أربع مواد أساسية هي الماء والهواء والنار والتراب ، وهذه كلها متنافرة والله سبحانه وتعالى بقوته القاهرة ألف بينها ، من معاني قهره أنه ألف بين المتنافرات ، فأنت لا تستطيع أن تجعل البحر يحترق ، والبحر ماء ، لكن ربنا عز وجل قال : ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ سجر النار يعني أشعلها ، كيف ؟ أنت بالماء تطفىء النار ، لكن هذا الماء هدروجين وأكسجين ، الهدروجين من أشد العناصر احتراقاً ، والأكسجين من أشد العناصر مساعدةً على الاحتراق ، حينما تشوي لحماً لماذا تهوي بالمهواة ؟ لتحرك الأوكسجين فوق الفحم فيزداد توهجه ، فالأكسجين يعين على الاشتعال والهدرجين يشتعل ، والمحصلة ماء يطفىء النار ، فالله عز وجل بقدرته يجعل من هذا البحر ناراً ، فمن معاني قهر الله عز وجل أنه يؤلف بين الأشياء المتنافرة ، وهذه العناصر الماء والهواء والنار والتراب كلها متنافرة ومع ذلك تأتلف في المخلوقات . وهذا هو المعنى الثالث .

شيء آخر ، إن الروح جوهر لطيف ، روحاني نوراني والبدن جوهر كثيف مظلم وبينهما منافرة عجيبة ، ومع ذلك أسكن الله الروح في هذا الجسد بقهره .

مثلاً إن كان لديك معدن تريد لصقه ؛ فيقال : لك إن هذا المعدن لا يلتحم بلحام ألمنيوم يحتاج إلى لحام خاص ، فهل يلتحم الألمنيوم بلحام حديد ؟ طبعاً لا ؛ لأنهما متنافران ، فالله عز وجل جعل الروح نورانية خفيفة سماوية ، وجعل الجسم مُنْشَدّاً للأرض ، ومع ذلك ألف بينهما في هذا الإنسان ، فالإنسان جسد ونفس ، أحياناً تتلألأ نفسه

ويبدو هذا على وجهه ، وأحياناً تظلم نفسه ، ويبدو هذا على وجهه . فالإنسان كائن فيه عنصر سماوي وعنصر أرضي ، لكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة : ٣٨] .

يعني اتجهت نحو الأرض ، اتجهت نحو الشهوات ، نحو الدنيا .

المعنى الرابع من معاني القهار : أن الله تعالى يذل الجبابرة والأكاسرة تارةً بالأمراض ، فترى ملكاً من كبار الملوك عقيماً وهو يحب زوجته ، فهو يدفع ألوف الملايين على أن تنجب فلا تنجب .

ملك ثانٍ يصاب بمرض ، ولا يشفى منه ولو بذل الغالي والرخيص ، فمن معاني القهار أن الله قهر العباد كلهم بالموت ، لا نبي ولا رسول ، ولا قوي ولا غني ، ولا صحيح ، ولا مريض ولا فقير ، ولا رفيع ولا وضيع ، ولا ملك ولا وزير ، إلا ويموت ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ وحتى مَلَك الموت يأتي دوره ، فيقال له مت يا ملك الموت ، فيذوق طعم الموت ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « **لا إله إلا الله إن للموت سكرات** » [رواه البخاري وأحمد من حديث عائشة رضي الله عنها] .

الله تعالى يذل الجبابرة والأكاسرة تارةً بالأمراض وتارة بالنكبات وأخيراً بالموت .

المعنى الخامس : إن العقول مقهورة عن الوصول إلى كنه صمديته والأبصار مقهورة عن الإحاطة بأنوار عزته ، فإياك أن تقول : أنا أدرك

عظمة الله لأن من معاني الإدراك الإحاطة ، فإذا أمسكت شيئاً صغيراً تعرف طوله وعرضه ووزنه ، عقلك يصل إلى الله ، لكنك لا تستطيع أن تحيط به ، لأن الله عز وجل لا يعرفه إلا الله ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

عقلك يصل إليه وتعرفه بالقدر الذي يشاء ، فعقل الإنسان مقهور عن إدراك كنه صمديته ، فالإنسان العاقل لا يطمع أن يجيب عن كل سؤال متعلق بالله عز وجل فليس معناه أنه جاهل .

سأل إنسانٌ آخر عن البحر فقال : هذا البحر كم يساوي من الألتار ؟ نظر إليه وقال : هذا أمر بسيطو ثمانية وستون مليون وسبعمئة وستة وستون لتراً ، فهذا يكون جاهلاً ما دام أعطى رقماً ، قال لك : كم لتراً حجم هذا البحر ؟ وليس لديك حجوم ولا مقاييس لأعماق البحار ، فلو سُئلت : كم حجم هذا البحر ؟ فإذا أعطيت رقماً كنت جاهلاً ، وإذا قلت : لا أدري كنت عالماً ، كلمة لا أدري هي العلم وكلمة أدري هي الجهل ، لذلك قالوا : عين العلم بالله هو عين الجهل به ، وعين الجهل به هو عين العلم به ، فكلما قلت : أدري ، وكل سؤال له عندي جواب ، وأنا أعلم كل شيء ، فهذا دليل قطعي على أنك لا تعلم ، هذا ما يتعلق بذات الله عز وجل ، فلا أحد يمكن أن يحيط بها .

المعنى السادس : ربنا قهار فهناك حوادث لا تعلم كنهها فقل : سبحان الله! لا أدري ما حكمتها .

بلد وقع فيه زلزال قتل فيه تسعون ألفاً ، هناك حكمة ، ولكن

لا أعرفها ، فعقلي قاصر عن إدراك الحكمة ، ليس من المفروض أنه كلما وقع أمامي مشكلة أن أعطي التفسير البسيط ، قد يكون التفسير البسيط ساذجاً ، فإذا قلت : إنهم أصيبوا بسبب معاصيهم ، فهذا كلام إلى حد ما مقبول ، ولكن المؤمن أحياناً يُبتلى ، فالمؤمن له معاملة خاصة ، له ابتلاء ترقية ، فالأكمل ألا تدعي أنك تعرف كل شيء ، ولا تعرف خباياه ، فمثلاً مرض الإيدز إن قلت : إنه بسبب انحراف السلوك الأخلاقي وهو عقاب عاجل للعصاة ، للفجار ، ممكن ، لكن هناك أشياء صعب تفسيرها ، فمثلاً : لماذا هذا الشعب فقير ؟ لعل الله عز وجل اقتضت حكمته ذلك .

المعنى السابع والشامل ، إن جميع الخلق مقهورون لمشيئته ، كما قال الله تعالى :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

مثلاً عندك مئة جهاز في البيت كهربائيات ، وعندك مفتاح الكهرباء الأساسي فإذا أغلقته فسوف تقف كل الأجهزة ، البراد والغسالة . . إلخ ، فالقوى المحركة بيد الله عز وجل ، لا يستطيع إنسان أن يتحرك إلا بمشيئة الله ، إذاً هو القهار ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وبالجملة لا ترى شيئاً سواه إلا مقهوراً له تحت أعلام عزته ، ذليلاً في ميادين صمديته ، هناك معانٍ أخرى للقهار ، بعض العلماء يقول : « **القاهر هو الذي قهر نفوس العابدين** » ، ولله المثل الأعلى تكون فتاة جميلة جداً والخاطب غارق إلى قمة رأسه في حبها ، فتتحكم فيه

لجمالها ، وكذلك صاحب القوة كقوة المال ، يتحكم في الضعاف ، لذلك قال الله تعالى :

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة : ١٦٥] .

كل القوى مصدرها من الله عز وجل ، إذا أقبلت على الله تسعد أضعاف ما يسعد من أحبوا أناساً من بني جنسهم ، إذا أقبلت على الله تغنى أضعاف ما يحس به الأغنياء في الدنيا ، إذا أقبلت على الله تشعر بقوةٍ أضعاف ما يشعر بها الموالون للأقوياء ، لهذا قيل « **إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك ، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله** » .

القاهر الذي قهر نفوس العابدين فحبسها على طاعته ، العباد لما أقبلوا على الله ، وصلوا ، سعدوا ، فحبسوا أنفسهم على طاعته ، فالله قهرهم بجماله ، قهرهم بكماله ، قهرهم بتجليه ، فالمحب لم يعد يريد من الدنيا شيئاً .

فما مقصودهم جنات عدن ولا الحور الحسان ولاالخيام
سوى نظر الحبيب فذا مناهم وهذا مطلب القوم الكرام

شاب تعرف على فتاة في دمشق فخاف أهله أن يقع في شباكها فأرسلوه إلى بلد أجنبي بعيد جداً ليدرس في الجامعة ، وأعطوه قسط الجامعة ، وكان مبلغاً كبيراً ، أنفق كل هذا المبلغ على مكالمات هاتفية ليتصل بها ، فهي قهرته بجمالها .

فلو عرفت الله عز وجل لقهرك جماله ، ولقهرك كماله ، القاهر هو

الذي قهر نفوس العابدين فحبسها على طاعته ، والقاهر هو الذي قهر قلوب الطالبين فآنسها بلطف مشاهدته .

حظ المؤمن من اسم القهار :

إن المؤمن حقاً يعرف القهار ، فمتى يكون ذلك ؟ إذا عرف حجم عبوديته ، فمن عرف نفسه عرف ربه ، ومن عرف ربه عرف نفسه ، كلمة سأفعل كذا وكذا ، وسأعطي وسأمنع ، هذا كله يبتعد عنه المؤمن لأنه يتنافى مع اسم الله القهار .

ولكن يمكن أن يكون المؤمن قهاراً بمعنى خاص ، أن يقهر شهوته ، وأن يقهر متعلّقات شهوته ، لأن شهوته هي أعدى أعدائه ، فإذا قهر ميله وشهوته وهواه فمعنى ذلك انتصر على ذاته ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

[النازعات : ٤٠ـ٤١]

فكل إنسان ينساق مع شهواته وميوله وأهوائه ، يتكلم كلاماً لا يرضي الله عز وجل ، يغتاب الناس ، يأخذ ما ليس له ، وأي حركة يتحركها الإنسان دون منهج الله عز وجل ، فمعنى ذلك أنه ينساق مع شهواته ومع رغباته ، إذاً هو ما طبق في نفسه أنه مقهور لاسم القهار ولم يسقها إليه .

إذاً عليك أن تقهر شهوتك التي هي أعدى أعدائك ، إن فعلت هذا فقد حققت في نفسك هذا الاسم العظيم ، بهذا الاسم تعرف ربك ، وبهذا الاسم تتخذ السبيل الى طاعته ومحبته ومرضاته .

* * *